

أ. مقدور العيد جامعة عبد الحميد بن باديس -

مستغانم

د.حاج علي عبد القادر. جامعة عبد الحميد بن باديس  
- مستغانم

### ملخص البحث:

حقل التعليمية من الحقول التي استرعت اهتمام العديد من الباحثين في مجالي التربية واللسانيات، هذا لما لها من دور في مجتمعنا خاصة إذا تعلق الأمر بتعليمية اللغات، ولعل كون نظرية التواصل صالحة لخدمة الكثير من العلوم و الفنون دفع بعضهم-أي الباحثين في مجالي التربية واللسانيات-إلى الاستعانة بالتواصل التداولي كمقاربة لتيسير تعليمية اللغات و تقريب فهمها، و عليه فعلاقة التواصل بتعليمية اللغات تعتبر قضية ذات وظيفة مركزية ترتكز على الاهتمام بالعناصر التواصلية التداولية في العملية التعليمية، مستندة في ذلك إلى أصول و جب اتباعها في تعليم اللغة وتعلمها و عليه نتساءل في ورقتنا البحثية هذه عن مدى فاعلية التواصل في تعليمية اللغات، وكيف يمكن تيسير تعليمية اللغات وفق منظور تواصلية، كما سنوضح أبرز الأصول و الركائز الأساسية التي تستند إليها المقاربة التواصلية في تعليمية اللغات.

**الكلمات المفتاحية:** تعليمية اللغات ، التواصل ، المقاربة.

### Abstract:

Thus,we wonder in this research to what extent teaching languages is effective to communication and how far it facilitates their learning.hence,we certainly will clarify the assets of the communicative approach in language teaching.

Key words: language learning , communication, approach.

### 1/توطئة:

إن قضية تعليمية اللغات قضية جوهرية شغلت ولا تزال تشغل حيزا كبيرا من اهتمامات الباحثين والمربين نظرا لوطادة صلتها بالمنظومة التربوية من جهة و بالمنظومة الاجتماعية من جهة أخرى، ما جعل الجهود تنصب على البحث عن سبل تُمكن من الإلمام بها-أي تعليمية اللغات- و بطرق تيسيرها، ولعل من أبرز ما توصل إليه القائمون على هذا الشأن هو ربطها بعملية التواصل، فنظرية التواصل قد طُبعت بطابع الشمولية و احتاجت لإقامة صرحها

الشامخ إلى العديد من المشارب المعرفية، لذا فأكيد أننا سنجد جانباً منها يخدم تعليمية اللغات كون مصطلح التواصل يستعمل مرادفاً للابتكار و الإبداع و التقدم، و على أساس ذلك كان العديد من التربويين و اللسانيين متهمين بمدى فعاليته، الأمر الذي ساهم في ظهور المقاربة التواصلية و التي انصبت اهتماماتها على تعليم اللغة من خلال التواصل الفعال و الواعي.

و عليه سنبرز في هذه الورقة البحثية علاقة المقاربة التواصلية بتعليمية اللغات من خلال طرح تساؤلات مفادها: ما فاعلية المقاربة التواصلية التداولية في تعليمية اللغات؟ و هل يمكن استثمار التواصل كنظرية لتيسير تعليمية اللغات؟

## 2/ ماهية التواصل :

لغة: وصلت الشيء وصلاً، وصله، و الوصل ضد الهجران، يقول ابن السيّد الوصل خلاف الفصل، وصل الشيء بالشيء يصله وصلاً و صلة، و اتّصل الشيء بالشيء: لم ينقطع و وصله إليه و أوصله: أعفاه إليه و أبلغه إيّاه.

و الوصلة من النّساء: التي تصل شعر غيرها و المستوصلة: الطالبة لذلك و هي التي يفعل بها ذلك و في الحديث أن النبي صلّى الله عليه و سلّم: "لعن الواصلة و المستوصلة"،

و الوصلة : ما اتّصل بالشيء، قال اللّيث: كل ما اتّصل بشيء فما بينهما وصلة . و المجتمع وصل ويقال: وصل فلان رحمه ، و بينهما وصلة أي الاتّصال .

ووصله توصيلاً إذا أكثر من التوصيل ، وواصل مواصلة ووصالاً ومنه المواصلة بالصّوم و غيره. و الوصل: ضدّ الهجران و التواصل التّصارم.<sup>1</sup>

اصطلاحاً: التّواصل مصطلح يكتنفه بعض الغموض بسبب غناه المعجمي نظراً لترادفه و اشتراكه مع مجموعة من المصطلحات التي تشاركه في الدلالة سواء من حيث الجذر المشترك أو من حيث الحقل الدلالي و ذلك مثل: التّواصل، الإيصال، الاتّصال، التّوصيل، الإبلاغ، الإخبار، التّخاطب أو المخاطبة أو المحاورّة... إلخ.

و قد حاول "طه عبد الرحمن" التّمييز بين الفئة الأولى ذات الجذر المشترك حيث جعل التّواصل مقولة كبرى تشمل الوصل الذي هو نقل الخبر و الإيصال الذي هو نقل الخبر مع اعتباره المخبر و الاتّصال الذي هو نقل الخبر مع اعتباره المخبر و المخبر إليه و المخبرة إليه أيضاً.

و التّواصل إخبار برسالة معيّنة تحمل معلومة أو أكو لهذا فإنّ القاموس عندما يحدّد كلمة "يتّصل" يجعلها تدلّ على نقل الأخبار و المعلومة و المشاعر و السلوكيات و التّصرفات.

<sup>1</sup> ابن منظور "لسان العرب"، مادة وصل، دار إحياء التراث العربي المجلد الحادي عشر بيروت بتصرف ص 726-728.

و حتى إذا لم يكن هناك إبلاغ فلا يمكن القول بانعدام المعنى أو الدلالة في التواصل،  
فرسالة تهدف إلى إقامة التواصل هي رسالة دالة بفضل سننها اللغة بل حتى الاجتماعي  
الثقافي.<sup>2</sup>

و يعرف كذلك مصطلح الاتصال العملية التي تنقل بواسطتها الرسائل أو مجموعة رسائل  
من المرسل أو المصدر إلى المستقبل أو مجموعة مستقبلية بينما يستخدم مصطلح الاتصال  
الجماهيري بمعناه المحدود أيضا إلى نقل رسائل بواسطته، وسائل فنية جماهيرية معينة  
كالصحف و المجلات و الأفلام و الإذاعة و التلفزيون و هي تمكن المصدر سواء كان فردياً  
أو مجموعة أفراد من الوصول إلى المستقبل و الجمهور قراء و مشاهدين و مستمعين.<sup>3</sup>

### 3/ أشكال التواصل:

إنّ التبليغ عن الخطاب التربوي ينطلق من المعلم إلى المتعلم عن طريق استعمال أدوات  
مدرسية معروفة و تكون هذه الأدوات بمثابة الوسائل المساعدة لعملية التبليغ أي  
عملية اتصال من المرسل إلى المستقبل ومن هنا يتحدّد التبليغ بأربع حالات هي:

1- شكل الرسالة و أسلوب استعمالها في وضعية معينة.

2- حالات و تصرفات المتواصلين.

3- أدوار و تصرفات المتواصلين.

4- المضامين أو موضوع الرسالة.

و هذه المضامين الأربعة هي التي تحدّد شكل الرسالة و نوع الخطاب على غرارها  
يكون الخطاب التربوي واضحاً و يعمل على تأدية الرسالة كذا خطط لها، و إنّما طرائق  
التبليغ فهي متعدّدة و متنوّعة و قد يكون هناك طريقة تصلح لعلم آخر ومن هنا وجدت  
موصفات و خصائص معينة لكلّ طريقة إلا أنّ خصائص الطرائق التربوية يمكن أن تجمعها  
بعض القواسم المشتركة إذ أنّه تبرز فيه المعطيات الآتية:

- تنطلق من الأهداف.
- تنظّم الخبرات و مواقف التّعليم.
- تنظّم التفاعل و المشاركة و الضبط و التّعزيز.
- تنوّع الخطوات و الأساليب وفق تنوّع الأهداف.<sup>4</sup>

ومن هنا فإنّ أشكال التواصل تتجسّد في أربعة عناصر أساسية هي كالاتي:

- الشّكل الأول: يكون بين المرسل و المتلقّي على صورة مباشرة.

<sup>2</sup> عمر أوكان: اللغة و الخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، 2001 ص 35.

<sup>3</sup> سامية محمد جابر: الاتصال و الإعلام: تكنولوجيا المعلومات نعمات أحمد عثمان، دار المعرفة  
الجامعية، ط2003، ص 7-71.

<sup>4</sup> صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة الجزائر، 2000، ص 56.

- الشكّل الثّاني: يكون بين المرسل و المتلقّي مع بعض اللّججة في الكلام ممّا يسبّب تبعثرا في الدّذبات كصورة كون الرّسالة غير متجزئة.<sup>5</sup>
- الشكّل الثّالث: العملية المشتركة بين المرسل و المتلقّي أوسع ممّا كانت عليه في الحالة الثّانية فالملتقط يفهم المرسل لكنّه لا يستطيع إجابته فمثلا:طالب في المرحلة النهائية يفهم الأستاذ أثناء إلقاء الدرس لكن تكون لديه أمور يصعب فهمها.
- الشكّل الرّابع: هذه الحالة لا يكون فيها الاتّصال بصفة أنّ المرسل و المتلقّي لا يلتقيان ومن ثمّ الرّسالة لا تمرّ فهي في حقيقة أمرها غير مفهومة.<sup>6</sup>

**4/نظريّات التّواصل :** لقد ظهرت نظريّة التّواصل على أيدي رياضيّين مثل "كلود شانون" و"وارين ويفر" سنة 1646 و هكذا كان لنظريّة التّواصل تأثيرا كبيرا على العلوم الإنسانيّة حيث ارتبطت باللّغة على يد العالم اللغوي رومان جاكبسون الذي طبّقها ضمن مفاهيم وظائف اللّغة عندما عرض بعض القضايا الشعريّة و قال: ما الذي يجعل من الرّسالة اللغوية عملا فنيا؟ و يتعلّق هذا بأن الباث يرسل رسالة إلى المتلقّي و الرّسالة تتطلّب سياقًا تحيل إليه و يستطيع المتلقّي إدراكه وهو سليقٌ لغوي أو يقرب منه و الرّسالة تشير إلى شفرة مشتركة بين الباث و المتلقّي مفكّها و إلى جانب هذه العناصر يجب أن تكون بين الباث و المتلقّي قناة ترابط مادي أو نفسي تمكنهما من إقامة التّواصل و هكذا فإن رومان جاكبسون قد استفاد من نظرية التّواصل عند شانون و حاول تعميمها على وسائل التّواصل سواء عن طريق اللّغة أو غيرها من أدوات التعبير و التلقّي.

#### **5/أصول المقاربة التّواصلية في تعليم اللّغة و تعلّمها:**

لقد تنوعت مرجعيّات المقاربة التّواصلية حيث تفاعلت حقول لسانية كثيرة فيما بينها و قدّمت للحقل التربوي معطيات و مفاهيم جديدة تسدّ نقص ما تبنّته الطرائق البنيوية و نتج عن هذه الحقول المتفاعلة مقاربة جديدة سمّيت بالمقاربة التّواصلية. فبعد المكانة المرموقة التي أصّلتها البنيوية في السيطرة على أساليب التعليم المصوّر كاتجاه منافس لها تحدّرت له الدراسات اللغوية الجديدة المنبعثة من شمال أمريكا و المتفكّة على الوظيفة التفاعلية و التداولية للّغة و سرعان ما تجد صداها في المجال التربوي ليس لكونها تقدّم جديدا بخصوص وظيفة اللّغة لأن هذه الوظيفة الأساسيّة قد أكّدت اللسانيات عليها منذ نشأتها، و إنما لإدخالها إجراءات و أساليب توظّف في الميدان التّطبيقي تلك المفاهيم و التّصوّرات التي تأخذ في الحسبان البعد الاجتماعي و الثقافي للّغة، و يتحدّد هدفها الأوّل في إتقان اللّغة في التّواصل منطلقا من الحاجات و كذا المحتوى التّعليمي الذي يرفع بدوره العلاقة القائمة بين اللّغة و السياق الاجتماعي و يمكن تلخيص هذه الدراسات في:

<sup>5</sup> محمّد جابر ساميّة و آخرون "الاتّصال و الإعلام"، دار المعرفة الجامعيّة، 2003، ص56.

<sup>6</sup> المرجع نفسه ص 56-57.

- فتحت أعمال بنفينيست E Benveniste المجال للبحث في لسانيات اللفظ محاولا تجاوز الإطار البنيوي المقتصر على البنية المسمع المثالي المعزول عن الأوضاع الاجتماعية العادية و النفسية و قد كان الاهتمام منصبا على الكلام الذي هو من إنتاج متكلم عادي يصدره بوجود محدد حيث لا وجود للكلام إلا بوجود متكلم و سامع و موقف يستدعي الكلام.

يُميّز بنفينيست بين اللغة/الخطاب في مقابل الكلام/الكلام" فيوجد من جهة اللغة كمجموعة من الأدلة الشكلية المنسقة تحدها إجراءات صارمة و منصفة في طبقات منسقة في بنيات و أنظمة و من جهة أخرى ظهور اللغة في تواصل حي.<sup>7</sup> فتعمل لسانيات الخطاب على إبراز الوجه الثاني المتمثل في ظهور اللغة في الاستخدام مركزة على الحدث اللغوي عند تبادل الأفعال الكلامية فلا يهتمها نص الكلام بقدر ما تأخذ في الاعتبار فعل التلفظ كما يؤكد بنفينيست على كون الجملة هي المستوى النهائي للتحليل اللغوي" فالجملة تغادر مجال اللغة كنظام من العلامات و تدخل عالم آخر وهو عالم اللغة كأداة للتواصل".<sup>8</sup>

#### 6. العناصر التواصلية التداولية و دورها في العملية التعليمية:

أ- المرسل: هو فاعل الكلام و هو المصدر الذي يقوم بإرسال الخطاب و شرحه وهو الذي يلعب دور المسهل و الميسر في مجال التعلم فهو الذات المحورية في إنتاج الخطاب لأنه هو الذي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد معينة فالمرسل هو الذي يوظف اللغة في مستوياتها المتميزة بتفعيلها في نسيج خطاباته. و لنجاح عملية التواصل ينبغي أن تتوفر فيه جملة من الشروط و هي كالآتي:

- امتلاك الكفاية التواصلية: و يرى بيار بورديو أن الكفاية التواصلية "هي قدرة المتكلم على معرفة متى و كيف يستعمل اللغة و معرفة ما يجب قوله في ظروف معينة و متى يجب عليه السكوت و متى يجب عليه الكلام. إنها المعارف التي تزداد على الكفاية اللغوية الصرفة المتمثلة في ثراء الرصيد المعجمي عند مستعمل اللغة و تمكنه من قواعد لغته و السيطرة على المعاني و ووضوح خطابه".<sup>9</sup>

ومن شروط امتلاكها:

- اختيار اللفظ المناسب للمعنى: جاء في كتاب البيان و التبیین "أن يكون مقبولا قصدا و خفيفا على اللسان سهلا و كما خرج عن ينبوعه و نجم من معدنه و إياك و التوعر فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد و التعقيد هو الذي يستهلك معانيك و يشين ألفاظك و من أراغ معنى كريما فإن حق المعنى الشريف و من حقهما أن يصونهما عما يدنسهما و ينبغي أن تعرف أقدار المعاني فتوازن بينهما و بين أوزان المستمعين و بين أقدار المستمعين على أقدار الحالات و اعلم أن المنفعة مع موافقة الحال و ما يجب لكل مقام من المقال".<sup>10</sup>

<sup>7</sup> ينظر، E Benventic problèmes de linguistique générale Edition Golimar Paris 1966. P130.

<sup>8</sup> ينظر E Benventic problèmes de linguistique générale

<sup>9</sup> Cite par L Porcher dans son article l'intitule par cours sociopedagogie. in ligne de force du ronoveau en DLE de international 1980 P 96.

<sup>10</sup> البيان و التبیین "الجاحظ" ج1، ص 100.99.

- امتلاك الكفاية اللغوية: ينبغي للمرسل معلم اللغة العربية أن يكتسب مهارة تعليم اللغة وهو من ثمة مطالب بامتلاك الكفاية اللغوية الصحيحة للغة العربية التي تشكل جزءاً أساسياً من أوجه الكفاية التواصلية و يقصد بها أن يعرف الفرد النظام الذي يحكم اللغة "النحوي الصوتي-الصرفي-الدالي-المعجمي" و يطبقه بدون انتباه أو تفكير واع به لأنه "لا يكون المحاور ناطقاً حقيقياً إلا إذا تكلم لساناً طبيعياً و حصل تحصيلاً كافياً صيغته الصرفية و قواعده النحوية و أوجه دلالة ألفاظه و أساليبه في التعبير و التبليغ".<sup>11</sup>

ومن هنا فالمرسل هو إثبات للرسالة و يكون فرداً أو جماعة أو حيوان أو آلة وهو مصدر المعرفة الحقيقية يقوم بإرسال الرموز عبر اللغة أو ما يشبهها.<sup>12</sup> حيث يعتبر مصدر الخطاب المقدم فهو يعتبر ركناً حيويًا في الدارة التوصيلية اللفظية فهو الباعث الأول على إنشاء إصلاحات مختلفة مثل: الباتّ و المخاطب أو الناقل أو المتحدث.<sup>13</sup>

كما أن المرسل لا بدّ أن يضع في اعتبار دراسته بطريقة يمكن من خلالها تحقيق التناغم و التوافق مع المستقبل فهو العنصر الفعّال في عملية الاتصال أي التناغم و التوافق بين المرسل و المستقبل ومن هنا فإنّ على المتّصل تحديد الفكرة المراد إيصالها تحديداً دقيقاً و جمع المعلومات المتعلقة بها ثم صياغتها بشكل رمزي معين في الرسالة.<sup>14</sup>

امتلاك الكفاءة التداولية (Pragmatic): و التي يعتبرها "سيمون ديك" نسفاً مركباً و متعدداً و التي تتألف من خمس ملكات على الأقل، و هي الملكة اللغوية و الملكة المنطقية المعرفية و الملكة الإدراكية و الملكة الاجتماعية، و التي تعمل على بناء القدرة التواصلية لذا مستعمل اللغة الطبيعية و هي على النحو التالي:<sup>15</sup>

- الملكة اللغوية: هي المقدرة التي من خلالها يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية (المتكلم، الكاتب) بإنجاز و تأويل عبارات لغوية مختلفة التراكيب و التعقيد، باختلاف المواقف التواصلية التي أنجزت فيها.
- الملكة المنطقية: و تتمثل في امتلاك المتكلم المقدرة المنطقية التي تسمح له باشتقاق معارف أخرى.
- الملكة المعرفية: و تتمظهر في امتلاك مستعمل اللغة رصيذاً من المعارف المخزّنة التي يستحضرها من أجل تأويل العبارات اللغوية.
- الملكة الإدراكية: هي امتلاك المقدرة التي تؤهّل المتكلم من إدراك محيطه و تجسيد معارفه في إنتاج العبارات اللغوية و تأويلها.
- الملكة الاجتماعية: هي مقدرة تسمح و تخوّل للمتكلم إنتاج تعبيرات مختلفة و متعدّدة و متماشية و ملائمة للموقف التواصلية من أجل الوصول إلى أهداف معيّنة.

11 تعليمية اللغة العربية. أنطوان صياح. ج 1 ص 45.

12 صالح بلعيد "دروس اللسانيات التطبيقية" دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع. 2000. ص 54.

13 هالة منصور "الاتصال الفعال مفاهيمه و أساليبه ومهاراته" المكتبة الجامعية الأزاطية الإسكندرية ط 2000 ص 71.

14 الطاهر بومرير "التواصل اللساني و الشعرية" مقارنة تحليلية لنظرة جاكسون. الدار العربية للعلوم ناشر ط 2000. 01 ص 24.

15 ينظر. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 57.

فهذه الملكات الخمس مجتمعة تعمل على تسطير المسار الصحيح للعملية التواصلية، وجعل التواصل هادفاً، كما تسمح بتوضيح المعنى و المقصود من العبارات اللغوية المنجزة وفق السياقات المختلفة.

على الرغم من مكانة الكفاءة اللغوية في العملية التواصلية التي تعتبر طرفاً أساساً و فاعلاً فيها، إلا أننا بحاجة إلى الكفاءة التداولية، التي من شأنها استثمار الملكات أو القوالب الكامنة في ذهن الإنسان بما تفرضه من استخدام قوانين و استراتيجيات متماشية ومظاهر السياق المصاحبة للعملية التواصلية (لغوية و غير لغوية) مجتمعة، تعمل على أن ينتقل المتلقي (المخاطب، القارئ) من البنية الأسلوبية اللغوية المنجزة إلى المقاصد الكامنة في الخطاب،<sup>16</sup> و بمعنى آخر هي مجموع القواعد التي تتضمن السيرورة بين طرفي الخطاب.

**ب- المرسل إليه:** المتلقي هو المستقبل فهو الذي يستقبل رسالة المرسل و يفك رموزها و يعي دلالتها و يتفاعل معها فإذا كان المرسل هو منشئ الخطاب و منتجه و يجعل له خصائص تميزه عن غيره فإن المتلقي هو من يُنشأ به الخطاب و من أجله، وهو مشارك في إنتاج الخطاب مشاركة فعالة و إن لم تكن مباشرة.

و بالتالي فهو الذي يستهدف من عملية النقل الاتصالية تفكيك الرسالة الكلامية و هو يقابل المرسل داخل الدارة التواصلية اللفظية أثناء التخاطب وهو الذي يجيب على جزئياته يمكن من خلالها السؤال الذي أثاره **لا سويل** ونفي به هنا الطرف المعني بالرسالة الموجهة إليه "الرسالة الاتصالية" سواء كان المستقبل<sup>17</sup> شخص أو شخصين أو مجموعة من الأشخاص أو فئة معينة أو جماعة معينة أو فئة بعينها.<sup>18</sup> و لنجاح العملية التواصلية ينبغي أن يتوفر فيه ما يلي:

**1- امتلاك المهارة اللغوية:** و المراد بها معرفة المتلقي للغة التي يستعملها المرسل و يبيت بها رسالته بالإضافة إلى القدرة على التحليل و التركيب و رؤية العلاقات بين الأشياء.

**2- حسن الاستماع:** و من هنا جاء في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري قوله: "إن المخاطب إذا لم يحسن الاستماع لم يقف على المعنى المؤدي إليه الخطاب"<sup>19</sup>

**3- رؤية المتلقي للمرسل:** رؤية المرسل عند المتلقي أهمية كبيرة في تحقيق التواصل و التفاعل لأنها تبرز حالة المرسل وهو يحدث خطباته و يمارس العملية التعليمية وما في ذلك من حيوية و نشاط أو علامات دالة أخرى و كذلك حال الخطاب في لحظة حدوثه بمختلف ظروفه و ما به من تفاصيل.

و من هنا فالمرسل إليه هو الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسل خطابه عمداً و قد أشار اللغويون القدماء في التراث العربي إلى تأثير المرسل إليه على المرسل عند إنتاج خطابه إذ أبرزوا دوره في مستوى الخطاب اللغوي مثل المستوى النحوي من حيث التذكير و التأنيث و العدد و تجسيده بعلامة لغوية هي إصاق كافة الخطاب بأسماء

16 ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب، ص 59.

17 صالح بلعيد "دروس في اللسانيات التطبيقية"، ص 45.

18 هالة منصور، الاتصال الفعال، مفاهيمه و أساليبه ومهاراته، ص 19.

19 كتاب الصناعتين "لأبي هلال العسكري"، ص 25.

الإشارة ولم يقفوا عند هذا الأمر بل أبرزوا أيضا في سياق الخطاب و أثر ذلك على الخطاب تداوليا.

ومن هؤلاء سيبويه فقد ذكر تبريرا معقولا بقوله هذا باب تخبر فيه عن النكرة بنكرة وذلك قولك: ما كان أحد مثلك و إنما حسن الإخبار ها هنا عن النكرة حيث أردت أن تنفي أن يكون في مثل حاله شيء أو فوجه لأن المخاطب يحتاج إلى أن تعلمه مثل هذا<sup>20</sup> وكل ذلك يدل على أن المرسل إليه حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب سواء أكان حضورا عينيا أم استحضارا ذهنيا وهذا الشخوص أو الاستحضار للمرسل إليه هو ما يسهم في حركية الخطاب بل يسهم في قدرة المرسل التلويحية و يمنحه أفقا لممارسة اختيار استراتيجية خطابه.

ج- الرسالة: هي الجانب الملموس في العملية التخاطبية حيث تتجسد عندها أفكار المرسل في صورة سمعية لما يكون التخاطب شفويا و علامات خطية عندما تكون الرسالة مكتوبة.

وقد وردت في قاموس اللسانيات بمعناها العام أنها وحدة الإشارات المتعلقة بقواعد تركيبات محدودة يبعثها جهاز البث إلى جهاز الاستقبال عن طريق قناة حيث تستعمل كوسيلة مادية للاتصال<sup>21</sup>، وتتوقف فعالية الاتصال على فهم مادة الاتصال هذه الرسالة وذلك من حيث كونها ذات محتوى يغبر عن أهداف محددة عن يقوم بصياغتها و إرسالها.

د- السنن: لقد تعددت الاصطلاحات اللسانية بشأن هذا العامل فبعضهم استعمل مصطلح اللغة و بعضهم فضل النظام فيما أطلق مدلول واحد يحيل على نظام ترميز مشترك كليا أو جزئيا بين المرسل و المتلقي و تمثل السنن القانون النظام للقيم الإخبارية و للهرم التسلسلي الذي ينتظم عبر نقاطه التقليدية المشتركة بين المرسل و المرسل إليه، كل نمط تركيبى فمنه ينطلق الباث عندما يرسل رسالة خطابية معينة حيث يعمل على الترميز و إليه يعود كذلك عندما يستقبل رسالة ما فيفك رموزها بحثا عن القيمة الإخبارية<sup>22</sup>.

ه- السياق: "المقام" يعتبر المقام من أهم العناصر التواصلية إذ تحدث فيه أدوار العناصر التواصلية السابقة و ترتبط ارتباطا وثيقا لأجل نجاح العملية التواصلية فمراعاة المقام بالنسبة للمرسل عون له على الإنتاج الجيد لخطابه كما أن معرفة المستقبل لهذا المقام التواصلى عون له على التأويل الجيد للخطاب و الوصول إلى ما قصده المتكلم "ألا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة فقام الشكر يباين مقام الشكاية و مقام الترغيب يباين مقام التهيب و مقام الجد يباين مقام الهزل وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار و الإنكار و مقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار

20 عبد الهادي بن ظافر الشهري "استراتيجيات الخطاب" مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1 مارس 2004، ص47.

21 هالة منصور، الاتصال الفعال، مفاهيمه و أساليبه ومهاراته، ص24.

22 الطاهر بومدين "التواصل اللساني و الشعرية" مقارنة تحليلية لنظرية جابسون"، ص27.

جميع ذلك معلوم لكل لبيب و كذا مقام الكلام مع الذكي يغير مقام الكلام مع الغبي و كل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر<sup>23</sup> ومن هنا فالمقام يتخذ نوعين:

- مقام خارجي: متعلق بالمتلقي من حيث طبقته العلمية و الفكرية و الاجتماعية و ردود أفعاله وتشمل الرفض و القبول وسيلة الاتصال التي هي المشافهة أو المكاتبة، السياق العام، طبيعة الموضوع قد تكون سياسية أو اجتماعية، أو غير ذلك على أن يراعى فيها المتلقي.

- مقام داخلي: متعلق بالمرسل من حيث مقاصده التي يريد إبلاغها للمتلقي<sup>24</sup>.  
7-الركائز الأساسية التي تستند إليها المقاربة التواصلية التداولية في تعليمية اللغات:

1-اعتماد مفهوم الملكة التواصلية: وظّف د هايمز مصطلح الملكة التواصلية في مقابل ثنائية تشومسكي الملكة و التأدية. فقد سعى هايمز ومن معه إلى إيجاد نظرية تواصلية تركز على الوظائف أكثر من تركيزها على البنية و اعتبار المنطلق ليس هو السنن اللغوية بل النشاط الخطابي للمتكلم<sup>25</sup> و يرفض هايمز التحدّث عن اللغة الموحدة المقصورة على نظام موحد و يؤكد على تمثّل اللغة في عدة أنظمة يطبقها المتكلم بفعالية أو بسلبية و ذلك حسب الظروف المحيطة به ولا تنحصر الظاهرة اللغوية في منظورها في القواعد المستضمة و التي تسمح بإنتاج جمل اللغة بينما يجد مفهوم اللغة أصالته في اتفاق الاتجاهين المختلفين: النحو التوليدي التفرعي و إنثوغرافية التواصل و النقطة المشتركة تمكن في الأخذ بعين الاعتبار قدرات مستعملي اللغة<sup>26</sup>.

-إنثوغرافيا التواصل: تنطلق هذه المقاربة من اعتبار موضوع اللغة ظاهرة ثقافية اجتماعية تتحكم فيه مجموعة من الوظائف وقد ساهمت أعمال "هايمز" و "جمبرز" في تطوير هذه الأعمال التي أسست لمفاهيم مثل: السّجل الكلامي، أفعال الكلام و ألعاب اللغو وقد ضمّن الوضعيات التفاعلية و الاجتماعية و كذا الملكة التبليغية لهايمز لقد تأسس التحليل التفاعلي للعملية التبليغية على بعض عناصر نظرية تشومسكي في مفهوم الملكة اللغوية و ذلك بالقيام بتحليل بالقسمة Analyse componentielle لسلسلة من القواعد النحوية ومن المفردات التي تتشكل عليها العلاقات بين مكونات العملية التبليغية إضافة إلى النظام الذي تخضع له هذه الأخيرة الإجراء الذي سيسمح بتوضيح خصوصية ومحتوى لسانيات مؤسسة اجتماعيا<sup>27</sup>.

<sup>23</sup> السكاكي "مفتاح العلوم" ضبطه و كتب هوامشه و علق عليه، نعيم زورور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2 1987، ص168.

<sup>24</sup> ينظر: البلاغة و الاتصال، جميل عبد الحميد، دار غريب للطباعة و النشر، مصر، 2000، ص 132-135.

<sup>25</sup> ميلودي حبيب "التواصل التربوي و تدريس الأدب" ط1 المركز الثقافي العربي، المغرب، 1979، ص 295.

<sup>26</sup> D Hymes vers la compétence de communication, traduction de Murget (F) Marshaude, les éditions dider Paris. 1991 P 120.

<sup>27</sup> عمر بلخير "مقالات في التداولية و الخطاب" ص16.

و على هذا الأساس فإن أي تحليل ينطلق من هذه المقاربة لابد أن يخضع لمجموعة من المعطيات نجملها فيما يلي:

-الإطار التفاعلي و التواصل الذي تتدرج فيه الأبعاد الزمانية و المكانية أي الجو النفسي للمحادثة والمشاركون فيها إضافة إلى العلاقات الرابطة بينهم.

-الغاية من النشاط الكلامي و القناة التي تسمح بهذه العملية و هي القناة المكتوبة أو المنطوقة مباشرة أو غير مباشرة.

-معايير التفاعل التي تسمح بسير التفاعل وهي معايير غير لغوية.  
-قواعد التأويل التي تضيف دلالات على السلوكات التواصلية في السياقات التي يتحقق فيها الخطاب.

و قد اهتم "هايمز" بالنشاط اللغوي باعتباره أو بوصفه نشاطا لغويا و اجتماعيا و تفاعليا و يذهب إلى أن الملكة اللغوية تأخذ بعين الاعتبار العلاقة الفعلية القائمة بين اللغة و الثقافة في الكلام الحي<sup>28</sup>، و يؤكد هايمز في مواضيع كثيرة على ضرورة الاهتمام بالمشاكل المطروحة من جانب اكتساب الطفل للقدرة التواصلية باللغة و توظيف هذه الأخيرة في مواقف اجتماعية و ثقافية و في التّواصلات العادية هذا ما يتحقق بالتركيز على المعرفة بالقواعد اللغوية و هذه الملكة التي تسمح للفرد بالدخول في السيرورة التواصلية مع الغير، و يحلها "Canale" "إلى ملكة نحوية و ملكة سوسيو لغوية و ملكة خطابية و ملكة استراتيجية"<sup>29</sup>.

وقد حدّدت لنا "صوفي مورا" مكونات اللغة في:

أ-المكون اللساني *une composante linguistique*: أي معرفة النماذج الصوتية والدلالية والتركيبية والنصيب لنظام اللغة و معرفة استعمالها.

ب-المكون الخطابي *une composante discursive*: وهو معرفة مختلف أنواع الخطابات و تنظيماتها وتسكيلاتها وفق الوضعيات التواصلية التي تنشأ فيها.

ج-المكون المرجعي *une composante socioculturelle*: أي معرفة مجالات التجربة الإنسانية ووجودات العالم و العلاقات القائمة بينهما.

د-المكون السوسيوثقافي *une composante socioculturelle*: أي معرفة القواعد الاجتماعية و معايير التفاعلات بين الأفراد و المؤسسات وكذا معرفة التايخ و الثقافة و العلاقات الاجتماعية ثم معرفة استعمالها.<sup>30</sup>

**-الاهتمام بالمكتوب:**

إن المقاربة التواصلية المبنية على أبعاد سوسيوثقافية و تجاوبية لا تعتبر المكتوب كلغة بسيطة لإنتاج شفوي و لكن كمجموعة مستقلة عن التطبيقات الكلامية النوعية و التي تعمل في جو الفهم و الإنتاج، و أكيد أن ذلك يتم بدرجات مختلفة حسب مواضع التعلم مع

28 D Hymes vers la compétence de communication op cit P121.

29 Sophie Moirand,enseigner à communiquer en langue étrangères coll (F) hachette,Paris

1982,P20

30 Sophie Moirand,enseigner à communiquer en langue étrangères P20

الأخذ بعين الاعتبار مختلف الملكات و بالخصوص الخطابية النصية السوسيو تداولية و الأثنوسوسيو ثقافية.<sup>31</sup>

لقد كانت الأولوية في ظل البنيوية تمنح للغة الشفوية و الكتابة تؤخر إلى غاية اكتساب الطفل المهارات الشفوية ومن هنا نفهم بأن البنيوية قد أهملت المكتوب فميدان تحليل الخطاب حسب "صوفي مورا" يوجه اهتماماته إلى ظروف الإنتاج ذلك على حساب الاستهلاك و الإنتاج بينما نجد في نظريات التعليم و التعلم أن مفهوم الملكة التواصلية قد خصص للإنتاج فقط أما في التطبيقات التربوية فإن الأسبقية كانت للإنتاج وهذا لمدة طويلة ظنا من جهة أن ملكة القراءة تأتي منها نفسها ومن جهة أخرى فإن نشاط الإنتاج سيساهم أيضا في تنمية هذه الملكة التي هي فرضية م بيرهن على صحتها لحد الآن.<sup>32</sup> وقد أشار هول لويز دليب في هذا الصدد لنا بقوله: "يجدر بنا كذلك أن نسجل تقدما ذا أهمية بالغة فإيا يخص المكتوب الذي أبعد طويلا من صدارة الاهتمام في بحوث المنهجيين و أجل تعليمه إلى مرحلة لاحقة في حين أن الاستجابة لاحتياجات بعض الفئات من المتعلمين باقتراح منهجية خصوصية تتماشى مع وصولهم إلى مستوى أرفع و أرقى مع المعارف اللغوية أوجبت تسليط الضوء من جديد على المظهر المكتوب للغات.<sup>33</sup>

-**الحاجات التعليمية:** إنه لا يمكننا تحديد المستوى التعليمي و الأهداف التعليمية إلا بتحديد الحاجات اللغوية وهذه الأخيرة يميز فيها "ر ريشتريس R Richterich " بين نوعين:

-الحاجات الموضوعية التي يمكن تعميمها انطلاقا من تحليل المواقف النموذجية للحياة و الحاجات الذاتية والتي يمكن تعميمها بأنها ترتبط بالحادث و الطارئ الخاص بالأشخاص.

و يذهب الدكتور "عبد الرحمن الحاج صالح" إلى أنه كل طريقة تعليمية تتصف بأدنى شيء من الجدية فلا بد أن يكون أصحابها قد اعتبروا فيها خمسة أشياء و هي :

أ-الانتقاء الممغن للعناصر التي تتكون منها المادة المعنية و هي بالنسبة للغة الألفاظ و الصيغ مع ما تدل عليها من معان في الوضع و في الاستعمال.

ب-التلخيص الدقيق لهذه العناصر أي توزيعها المنتظم حسب المادة المخصصة لها و عند الدروس.

ج-ترتيبها و وضعها في موضعها في كل درس حيث تتدرج بانسجام من درس إلى آخر.

د-اختيار كيفية ناجعة لعرضها على المتعلم و تقديمها له و تبليغها إياه في أحسن الأحوال

ه-اختيار كيفية لا تقل نجاعة عن السابقة لترسيخها في ذهن المتعلم و خلق الآليات الأساسية التي يحتاج إليها ليحكم استعمالها بكيفية عفوية.<sup>34</sup>

<sup>31</sup> H Boyer,nouvelle introduction à la didactique de français langues étrangère P53.

<sup>32</sup> Sophe Moirand,enseigner à communiquer en langue étrangères P122.

<sup>33</sup> لويز جابين، اللسانيات و تعليم اللغات، تر خولة طالب الإبراهيمي، مجلة الادب ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ع2، ص 154-155.

<sup>34</sup> عبد الرحمن الحاج صالح "بحوث و دراسات في علوم اللسانيات" موقع للنشر الجزائر، 2012، ص

و للبحث في طرق تدريس اللغات ثلاثة موارد رئيسة يستمد منها علماء اللسان و علماء النفس و التربة الذين يشاركونهم في موضوع بحثهم المعلومات الأساسية التي يحتاجون إليها لتحليل نظرياتهم و هي :

أولاً: الميدان من البحث الذي ينظر في كيفية اكتساب الطفل للغة أبائه و محيطه ثم ارتقاء هذه المهارة عنده ونموها و كذلك كيفية اكتسابه هو أو الراشد للغة ثانية غير اللغة الأم.

ثانياً: الميدان الخاص بأفات التعبير كأنواع الحبسة و الحكلة و غيرهما من العاهات التي قد تصيب الإنسان في قدرته على التعبير أو على فهم و إدراك ما يبلغه من الخطابات المنطوقة و المكتوبة و يسمى بعلم اللسان المرضي.

ثالثاً: الميدان التربوي اللغوي نفسه الذي يعني بإجراء التجارب التربوية في عين المكان فيعتبر على أسس علمية الطرق المختلفة الخاصة بتدريس اللغة .

وكل واحد من هذه الأنواع الثلاثة من البحوث يكون مصدراً هاماً من المعلومات المحسوسة لا يمكن أن يستغني عنها الباحثون في طرق تدريس اللغات.<sup>35</sup>

#### -اختيار المحتوى وتنظيمه:

ونظراً لعدم إمكانية تدريس اللغة بأكملها نظر المختصون إلى انتقاد محكم للعناصر الضرورية باعتماد مدونة كبيرة وكان الاختيار في ظل البنوية يتم بالتخفيض القائم على الاقتصاد اللغوي و التصميم في حين لا تلجأ المقاربة التواصلية إلى الاختيار من أجل تخفيض المدونة و إنما جعل هذه الأخيرة تناسب حاجات المتعلم.

و بالتالي فلا بد بالأخذ بعين الاعتبار مجموعة من العناصر التي لا يمكن أن تحقق التفاعل الأمثل إلا وفق منهجية محدّدة و التي تشتمل على المسائل الآتية:

1- التحليل اللساني للمادة المدروسة: لبناء استراتيجية التعلم عبر الممارسة اللغوية المختصة و ليس من خلال تلقينه قضايا اللغة.

2- اختيار المادة التعليمية: على المعلم اختيار المادة التي تناسب تلاميذه و التي يحتاجونها في حياتهم وفق مستواهم و الوقت المقرر لذلك مستعينا في ذلك بنتائج الدراسات اللسانية الإحصائية لاختيار المسائل اللغوية التي يجب إتقانها لتدريسها وفق الهدف المحدد.

3- التدرج في تعليم المادة اللغوية: إن التدرج في تعليم المادة اللغوية يعد أمراً طبيعياً يخدم الاكتساب اللغوي و يتمشى مع طبيعته لذلك فعلى معلم اللغة أن يحسن اختيار المادة التعليمية التي سيدرسها على مراحل و بما أنه لا يمكنه تعليمها دفعة واحدة و يجب عليه التدرج في المسائل التي سوف يتطرق إليها.

و لذلك فلا بد من اتباع مراحل يمر من خلالها البرنامج التعليمي و هذه المراحل تتكون من ثلاث عناصر أساسية هي:

أ- السهولة: و يقصد بها عملية الانتقال من السهل إلى الأقل سهولة و بهذا التدرج يمكن للمتعلم اكتساب المهارات اللغوية من مجموعة عناصرها لأن سهولة التركيب تؤدي إلى سهولة الإدراك و حسن الاستيعاب فالإدراك مرتبط بالقواعد و التحويلات الكامنة في التركيب.

ب- الانتقال من العام إلى الخاص: وهذا المبدأ يركّز على أن يكتسب المتعلم من العناصر اللغوية مهارة معينة أثناء العملية التعليمية وهذه العملية تتم عن طريق الانتقال من الألفاظ المجردة و الكلمات المفردة قبل كلمات الجمع ومن التراكيب البسيطة قبل المركبة.

ج- تواتر المفردات: و يقصد به مراعاة التدرج في تعليم المفردات وهذا المبدأ يجب أخذه بعين الاعتبار أثناء وضع البرنامج التعليمي لأي لغة بحيث ينتقل في المفردات من الألفاظ الأكثر تواترا في الأداء العقلي للكلام و تسمى هذه الألفاظ بالألفاظ الأساسية.<sup>36</sup>

4- عرض المادة اللغوية : وهو موضوع الدرس و يراعى تقديم المادة بصورة واضحة و بمختلف الوسائل لعرضها كالكتاب و السبورة و التسجيل... وهذه المنهجية على علميتها ليست صارمة وهي تشتمل على تحديد شكل اللغة ومراحل تعليمها و ترتيب هذه المراحل غير أن وحدات العرض يجب أن تخضع لتقسيم الوقت بين الوحدات كما تخضع بصورة مصداقية لتطوير إدراك اللغة و التعبير بها.<sup>37</sup>

### الخاتمة:

لعلّه تطوّفٌ معرفيٌّ حاولنا من خلاله تبين كيفية استثمار المقاربة التواصلية في تعليم تعليمية اللغات، و مع مرورنا عبر عدّة محطات في هذا البحث خلصنا إلى عدة نتائج نوضحها على النحو الآتي:

- التواصل وسيلة للإبلاغ إذ هو إخبار برسالة معينة تحمل معلومة أو أكثر وغالبا ما يستعمل التواصل بغرض الإبلاغ.

- المقاربة التواصلية تلجأ إلى وصف السلوكيات اللغوية انطلاقا من معايير أخرى وهي معايير الاستخدام التي تلائم حاجات المتعلم وترفض تطبيق نفس التدرج مع جميع المتعلمين وإنما تراعي السنّ والمستوى الثقافي والانتظام النفسي و الفكري للطفل وهذا ما يصعب الأخذ به في الواقع خاصة في مدارسنا. لكن على الرغم من ذلك فاعليتها تبقى أكثر تأثيرا و جدية .

- هناك تقاطع منهجي بين اللغة و التواصل حيث لا يمكن أن تكون لغة بدون تواصل ولا تواصل دون لغة إذ أن اللغة هي الوسيلة الوحيدة التي تمكن الإنسان من القيام بعملية التواصل مع غيره بطرق أكثر نجاعة.

- من أهم نظريات التواصل نظرية التواصل عند رومان جاكبسون و التي حصرها في مجموعة من الوظائف في مقدمه و وظيفة اللغة ثم تليها الوظيفة الإبلاغية وهي جزء منه و المتمثلة في الوظيفة المرجعية ثم الوظيفة الإنباهية، وقد اهتم جاكبسون بهذه الوظائف بتحويله الاهتمام من العناصر الخارجية إلى العناصر الداخلية للنص.

- تقدم المقاربة خدمة جليلة لتعليمية اللغات من خلال مساهمتها في تيسير سبل التعليم و التعلم .

<sup>36</sup> ينظر: نوال زلاتي، تعليم اللغة، مجلة اللغة الأم، دار هومة الجزائر، 2004، ص 117-118.

<sup>37</sup> ينظر: محمد العيد رتيمة: تعليم اللغة العربية الأسس و الإجراءات، الملتقى التكويني لمواجهة التعليم الأساسي المنعقد في المنعقد في المعهد الوطني للتكوين من 12 إلى 15 ماي 2000 ،كلية الأدب و اللغات، جامعة الجزائر، ص 120.

## قائمة المصادر و المراجع:

- ابن منظور "اللسان العرب" ، دار إحياء التراث العربي، المجلد الحادي عشر بيروت .
- عمر أوكان: اللغة و الخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، 2001.
- سامية محمد جابر: الاتصال و الإعلام: تكنولوجيا المعلومات نعمات أحمد عثمان، دار المعرفة الجامعية، ط2003.
- صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة الجزائر، 2000.
- E Benventic problèmes de linguistique générale Edition Golimar Paris 1966.
- البيان و التبيين "الجاحظ" ج1.
- تعليمية اللغة العربية. أنطوان صياح. ج1.
- صالح بلعيد "دروس اللسانيات التطبيقية" دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع. 2000.
- هالة منصور "الاتصال الفعال مفاهيمه و أساليبه ومهاراته" المكتبة الجامعية الأزاطية الإسكندرية ط 2000.
- الطاهر بومرير "التواصل اللساني و الشعرية" مقارنة تحليلية لنظرة جاكبسون. الدار العربية للعلوم ناشر ط2000.01.
- صالح بلعيد "دروس في اللسانيات التطبيقية".
- هالة منصور، الاتصال الفعال، مفاهيمه و أساليبه ومهاراته.
- كتاب الصناعتين "لأبي هلال العسكري".
- عبد الهادي بن ظافر الشهري "استراتيجيات الخطاب" مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1 مارس 2004.
- السكاكي "مفتاح العلوم" ضبطه و كتب هوامشه و علق عليه ،نعيم زورور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1987 .
- ينظر: البلاغة و الاتصال، جميل عبد الحميد، دار غريب للطباعة و النشر، مصر، 2000.
- ميلودي حبيب "التواصل التربوي و تدريس الأدب" ط1 المركز الثقافي العربي، المغرب، 1979.
- D Hymes vers la compétence de communication, traduction de Murget (F) Marshaude, les éditions dider Paris. 1991.
- عمر بلخير "مقالات في التداولية و الخطاب".
- Sophe Moirand, enseigner à communiquer en langue étrangères coll (F) hachette, Paris 1982
- لويز جاببن، اللسانيات و تعليم اللغات، تر خولة طالب الإبراهيمي، مجلة الادب ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- عبد الرحمن الحاج صالح "بحوث و دراسات في علوم اللسانيات" موقع للنشر الجزائر.
- نوال زلاتي، تعليم اللغة، مجلة اللغة الأم، دار هومة الجزائر، 2004.
- محمد العيد رتيمة: تعليم اللغة العربية الأسس و الإجراءات، الملتقى التكويني لمواجهي التعليم الأساسي المنعقد في المنعقد في المعهد الوطني للتكوين من 12 إلى 15 ماي 2000 كلية الأدب و اللغات ،جامعة الجزائر.